الفكرة البحثية

1- ماهية الفكرة البحثية: (فكرة البحث أو المذكرة)

الفكرة البحثية في البحوث التاريخية هي النواة الأولى والركيزة الأساسية التي يبني عليها الباحث دراسته، وهي عبارة عن تصور مبدئي لموضوع محدد، يرى الباحث أهمية طرحه وتحليله بطرق علمية وتاريخية، وكيفية تحقيق ذلك، وتتمحور هذه الفكرة حول رصد، تحليل، وتفسير الأحداث، والشخصيات، والأفكار التي حدثت في فترة زمنية معينة من التاريخ الوسيط، يفترض أن نجيب فيها على عدد من الأسئلة التي تدور في مخيلتنا كباحثين أو طلبة في طريق إعداد مذكرات التخرج منها: ماذا الذي أريد أن أفعله؟ لماذا أعتزم فعل هذا؟ إلى من سأوجه هذا الفكرة البحثية؟ كيف سأصل إلى تحقيقها أو بأي المناهج التي سأحققها؟ وما هو التصور البدئي لها؟

ويحتاج تحقيق الوصول إلى فكرة بحثية أن تتوفر سمات في المفكر أو المبلور للفكرة البحثية:

2- ما هي الصفات الواجب توافرها فيمن سيفكر ويختار فكرة بحثية لمذكرة أو بحث؟

ليس من الممكن أن يحوز كل شخص على قدرات تسمح له بالتفكير المعمق والسوي لاختيار فكرة بحثية تعتبر منطلقا له لاعداد مذكرته أو بحث في تخصص التاريخ الاسلامي الوسيط، وهنا وجب أن أذكر طلبتي الأعزاء ببعض الصفات اللازم توافرها في هذه الشخصية، ويمكن تلخيصها في الآتي:

- التمكن من مصادر تخصص التاريخ الاسلامي الوسيط؛
- الروح النقدية وهي عامل أساسي في أي عمل تاريخي ذي قيمة علمية، وبافتقار هذا الحس النقدي لا يمكن للباحث أن يكتشف أخطاءه ويضبط آراءه ويتقبل أحكام وانتقادات الآخرين، كما لا تتوفر له النظرة الثاقبة التي تسمح له برؤية جوانب الضعف في عمله وقصور تصوره؛
- مهارات التحليل مهارات تنظيمية والتلخيص والتصور القرائي بمعنى معرفة كيفية تصنيف المعلومات وتنظيمها وتقويمها، وهي مهارة أساسية لبناء الإطار المرجعي المعرفي للمؤرخ؛
- التمكن من المنهج التاريخي والمناهج المساعدة لإخراج لبحوث التاريخية؛
- الاتصاف بالترتيب، وأن يكون ذا عقل واع ومرتب ومنظم، لكي يميز بجلاء بين الحوادث، وينسق الحقائق ويحدد العلاقة بين حوادث التاريخ في الزمان والمكان، ويربطها في اتساق وتوافق؛
- امتلاك مهارة الملاحظة، يستخدم فيها المؤرخ حاسة أو أكثر من الحواس لتفسير الحوادث التاريخية وتخيلها لما هو اقرب للحقيقة.

3- ما هي سمات أو مواصفات الفكرة البحثية؟

قبل أن نعرض السمات العامة للفكرة البحثية، وجب التنبيه هنا إلى أن اختيار الموضوع الذي سيدور في فلكه عمل البحث او المذكرة وجب أن يكون ضمن تخصص التاريخ الوسيط الاسلامي بشكل عام، وأن يكون ضمن التخصص الذي تابع فيه الطالب أو الباحث دراسته في التدرج او ما بعد التدرج، وهو ما سيولد عنوانا دقيقا متخصصا. ويمكننا أن نقدم ها هنا بعضا ما السمات التي وجب أن تتوافر في الفكرة البحثية، نلخصها في الآتي:

- الأصالة الحداثة، وهنا وجب التذكير دائما بوجوب اختيار فكرة بحثية ستقدم عملا بحثيا تاريخيا جديداً لمكتبة التاريخ الاسلامي الوسط، وللمكتبة الجامعية عامة، وهنا من اللازم أن تتصف خاصية الابداع في الطاب/الباحث باكتشاف موضوع غير مطروق تماما إن أمكن ذلك، أو حتى دراسة موضوع قديم بمنظور تاريخي مختلف أو منجية و/أو مناهج جديدة، وهنا ياتي فكر الفجوة البحثية التي بامكان الطالب أو الباحث أو سدها أو ملء واكمال ما نقص بفجوة معرفية محددة.

- قابلية البحث والتنفيذ، وهي سمة مهمة جدا، فاختيار مسار بحثي دونما التأكد من امكانية الوصول إلى نتائج دراسته، هو في حد ذاته فشل بحثي قبل البداية، فوجب من البداية رسم النهايات من خلال طرح سؤال جوهري: إلى أين سأصل بهذه الفكرة البحثية؟

- توافر مصادر التاريخ الوسيط الاسلامي لإتمامها والاجابة على أسئلته البحثية؛

- توافر دراسات سابقة تسهل علي الوصول لاحقا إلى الفجوات البحثية؛

- التخصيص للتخصص، وهنا يجب أن تكون الفكرة البحثية عميقة لموضوع متخصص ضمن التخصص الذي يعمل ضمنه الطاب أو الباحث، فلا يجوز اختيار فكرة بحثية عامة بل يجب تضييق نطاقها حتى تكون المعالجة عميقة؛ فالمكتبة الجامعية ليست بحاجة لا للاجترار ولا للتكرار، بل بحاجة لجديد ملموس يقابله جهد مبذول، وعناية من باحث حسيف، وعميق التفكير سينتهي حتما بنتاج تاريخي ملموس، جذاب، وذو قيمة مضافة لتخصص التاريخ الوسيط بالجامعة الجزائرية؛

- اتفاق الفكرة البحثية المختارة مع قدرات الباحث وامكاناته في تخصص الغرب الاسلامي الوسيط، أو بشكل أدق يجب أن تتماشى الفكرة البحثية مه التوجهات البحثية للطالب أو الباحث، ولنبسها أكثر، بمصطلح ما يهواه المتوجه للفكرة البحثية في تخصصه، فمنهم من يحبذ الخوص في النوازل الفقهية، ومنهم من يحب الدراسات السوسيولوجية والانثروبولوجية، ومنهم من يتوجه إلى البحث في الأراجيز، ومنهم من تستميله المصنفات الطبية، وما إلى ذلك، كما وجب التذكير هنا بأن لكل باحث أو طالب

مقبل على التخرج قدرات فكرية وعقلية، وأي اختيار لفكرة بحثية تتجاوز قدراته سيحدث لا توافق بين من اختار و ما اختاره، فلا ينسجم المضان ولا الفكرة ولا النهايات ستكون متوافقة، عليه، يا حبذا أن تكون الفكرة البحثية متوافقة مع قدرات الباحث او الطالب؛

- أن تعالج الفكرة البحثية واقعا بعينه، واطارا زمنيا محددا، ومجالا جغرافيا دقيقا.

4- من أين تتولد الفكرة البحثية؟

للإجابة على هذا السؤال، وجب أولا التنبيه إلى ضرورة توافر الصفات التي ذكرناها سلفا في الطالب أو الباحث الذي سيختار فمكرة بحثية حتى يسهل عليه إسقاط ما اشترطناه من سمات الفكرة بالبحثية التي ستختار، وسيأتي الدور الآن على المصدر الذي يكون مولدا أو مصدرا للفكرة البحثية، ونلخصها في العناصر الآتية:

- الفكرة البحثية الجيدة تتولد من بين الشغف الشخصي للطالب أو الباحث، وقد أشرنا إليها سابقا، فلكل توجهه البحثي الذي يميل إليه؛

- الاطلاع المتزن والمتأني للدراسات السابقة التي تتقاطع مع فكرتك البحثية، وهذه المرحلة جد صعبة، لأنها تحتاج لوقت وجهد، وتعب مضني؛

- جمع الفجوات البحثية (Research Gaps) (ما لم يتم دراسته)، التي ترد ضمن (قسم التوصيات أو البحوث المستقبلية) في الرسائل الجامعية، أو الكتب العلمية، أو المقالات الطويلة، أو المداخلات المنشورة، أو فصول الكتب المطبوعة، لهذا يحتاج الامر إلى القراءة المتأنية، وبالطبع هذا ما سيأخذ وقتا لاستخلاصها؛

- تتبع ما يصدر في الاتجاهات البحثية الحديثة في مجال التاريخ الوسيط الاسلامي، وقراءته، وتحليل محتوياته، قد ينشأ في مخيلة الباحث أو الطالب فكرة بحثية يميل لها، فتكون منطلقا لبحثه؛

- حضور المناقشات الدورية في الجامعة او ضمن الملتقيات والندوات الوطنية والدولية، بالأخص إذا ما حضر بعض الخبراء في التخصص أو من يستهويك بحوثهم، فبالإمكان هنا أن تتولد فكرة بحثية من طرح سؤال، أو الاستماع للتحاور، ومناقشة فكرة ما حول أعمال المحفل العلمي؛

- واقع الباحث هو كذلك أحد منابع تولد الأفكار البحثية، والارتباط الدائم بما ينشر بشبكات التواصل محليا وعالميا، وكذا الظواهر والبيئة المحيطة، وهنا أشير إلى تولد فكرة بحثية في موضوع: "تاريخ الأزمات والجوائح" خلال مرحلة انتشار وباء كورونا، وقد تداولت في هذا الباب الكثير من الجامعات الوطنية والعالمية في تنظيم محافل علمية في هذا الجانب، لذا فالواقع المعاش مولد للفكرة البحثية.

- وهناك منبع آخر تتولد منه الفكرة البحثية وهو المناقشة مع المشرف، نتحدث هنا عن الأعمال الأكاديمية ومذكرات التخرج، ففتح طاولة النقاش مع مشرفك وتبادل الافكار، وتوسيعها بالتحليل والتعمق، سيفضي لا محالة لتولد فكرة بحثية في القريب او البعيد من الزمن.

- استخدام تقنيات التفكير الابداعي، وتوليد الافكار مثل: المخططات العقلية، والتصوير الذهني، والعصف الذهني، وما إلى ذلك من أساليب متطورة.

5- ما هي الأفكار البحثية الواجب تجنبها؟

حتى لا يقع الطالب أو الباحث في اشكالية الوقوع في الاختيار الخطأ أو غير السوي للفكرة البحثية، أو ينتابه الغرور البحثي، فوجب هنا توضيح بعض التوجهات التي يجب تفاديها:

- الأفكار البحثية التي تتولد من فراغ تقل فيها المصادر أو غير المحسوبة بشكل جيد، فيختارها الباحث او الطالب دونما تأكد من وجود مصادر كافية ستنتهي باستكمال بحثه، والوصول إلى الاجابة على الأسئلة البحثية، والمشكلة الرئيسية؛

- الأفكار البحثية للمشاريع الكبرى والتي تختار دون مراعاة لعامل الاطار الزماني لفترة اعداد البحوث (الماستر-الماجستير- الدكتوراه.....)، لذا وجوبا اختيار موضوع بحثي مبني على تقديرات زمنية دقيقة لاستكماله، وهو ما يحتاج لتدخل المشرف والاستعانة بأصحاب الاختصاص بعد أخذ الاذن من المشرف بالطبع؛

- الأفكار البحثية التي مصادرها الأرشيف غير المتوفر بالمجال الجغرافي المحلي، ويصعب الوصل إليه في الخارج، أو يتم الوصول إليه بجهد وفترة طويلة، ويحتاج كذلك إلى ترجمة(أرشيف باللغة الأجنبية)، أو تحقيق (مخطوطات)، هذا الأفكار غير محبذة تماما، وننبه الطالب بوجوب عدم اختيارها إلا للضرورة القصوى، أو عند القدرة على التكاليف الفكرية والجسدية والمادية، أو لما تتوفر قدرات معرفية في الترجمة والتحقيق فلا بأس بذبك؛

- أفكار بحثية تمس بالسيادة الوطنية أو تجلب النعرة والشعوبية أو التي ستوجهك عن الأمانة العلمية، وستجعلك تتعصب في استخدام مصادرها ومراجعها أو ستفتح أبواب المساءلة والنقد فيما بعد، فكل هاته الأفكار البحثية منهي عنها، ويجب تجنبها، إلا للضرورة القصوى، وحتى في ذلك، فننصح بتجنبها؛

- أفكار بحثية تفوق مستوى الفكر والقدرة العلمية للطالب أو الباحث، وتؤدي به في غالب الأحيان إلى الاستطالة في مدة الانجاز، أو التخلي عن استكمال الدراسة والبحث فيها، مما يضيع فرص

التوظيف أو استكمال البحث العلمي ما بعد التدرج؛ وهنا يجب التنبيه لوجود بعض الأفكار التي تختار من باب الغرور البحثي، ونماذجها قليلة، لكنها قد تنتهي بصاحبها إلى الانتحار العلمي والأكاديمي، ومخرجاتها ستكون سلبية للغاية عليه، لذا ينصح بتجنب الغرور العلمي، والعمل بهدوء وثقة، وتبادل الأفكار مع الآخرين، والاستفسار الدائم من المشرف، والتقرب من كل الأبواب والنوافذ، وتجنب الكبر العلمي، وتغليظ الرأس، والتفكير بسذاجة، وكل هذا سينتهي بنتائج وخيمة ولا تحمد عقباها، وقد يتوقف مسارك العلمي في منتصف الطريق، ننصحك عزيزي الطاب والباحث بتجنبها ، فلا يوجد أفضل من التواضع في البحث التاريخي.

الأسئلة البحثة ودورها في البحث التاريخي

تعتبر الأسئلة البحثية لموضوع تاريخي بمثابة البوصلة التي توجّه الباحث خلال إعداد بحثه، فهي تحول مجرد السرد القصصي للأحداث إلى دراسة تحليلية عميقة مليئة بالتفاسير والمقاربات المنهجية والنقد المدقق. وللأسئلة البحثية دور واسهام في انجاز البحث التاريخي في التخصص، نذكرها في الآتي:

- تساهم الأسئلة البحثية في تحديد المشكلة التاريخية وتضييق النطاق، وتحويل الموضوع إلى مشكلة وتخصيصها أكثر بدلاً من دراسة موضوع عام (مثل "الفتح الاسلامي لبلاد المغرب" أو " الزراعة بالمغرب الأوسط الوسيط)، تساعد الأسئلة في تحديد "مشكلة" محددة متخصصة وعميقة وضيقة التداول والبحث فيها (مثل " التحولات الاجتماعية والمذهبية ببلاد المغرب الأوسط في القرنين الأولين الهجريين" أو " تنظيم النشاط الزراعي بمجالات الهضاب العليا للمغرب الأوسط في القرون الخمسة الهجرية الأولى).

- تعمل الأسئلة على ضبط حدود الدراسة من خلال تحديد الحدود الزمنية والمكانية والموضوعية للبحث، مما يمنع التشتت في دراسة أحداث غير ذات صلة.

- السؤال البحثي يحدد نوعية الوثائق والنصوص المصدرية (رئيسية / ثانوية) سواء مخطوطة أو محققة التي يجب على الباحث البحث عنها بتوجيه عملية جمع المصادر (النقد والتحليل) وانتقاء المصادر.

- الأسئلة الجيدة تدفع الباحث لنقد المصادر (نقد خارجي وداخلي) للتأكد من صحتها ومصداقيتها، بدلاً من قبولها كحقائق مطلقة.

- تحليل وتفسير الأحداث تجاوز "ماذا" إلى "لماذا" و"كيف": لا تكتفي الأسئلة البحثية بذكر الحدث، بل تسأل عن أسبابه (لماذا حدث؟)، وسياقه (كيف تطور؟)، ونتائجه (ما أثره؟).

- تساعد الأسئلة في تفسير العلاقات وفهم العلاقات السببية بين الأحداث، مثل ربط الأوضاع إقطاع الأراضي بتنوع الانتاج الزراعي والحيواني.

- صياغة الفرضيات وبناء الهيكل لإجابة مؤقتة: تساعد الأسئلة في وضع فرضيات (إجابات مؤقتة) يقوم الباحث باختبارها من خلال المادة التاريخية.

- تمثل الأسئلة الفرعية أساس هيكلة البحث تقسيم الدراسة إلى فصول ومباحث ومطالب فيما بعد (مثال: سؤال عن نوعية التربة، سؤال عن توفر موارد السقي، سؤال خبرة عمال الفلاحة).

- إضفاء الأصالة والجدّة على البحث المطروق بإعادة قراءة واسترداد الحدث التاريخي بأكثر عمق ودقة، فالأسئلة المبتكرة تمكن الباحث من إعادة تفسير أحداث تاريخية معروفة ومتداولة مسبقا من زاوية جديدة ونظرة أخرى، أو سد نقص في الدراسات السابقة.